Coptology

الإرتداد عن المسيحية الأرثوذكسية – ٦

تابع

بدعة تأليه الإنسان: بدعة لم تُحاكم

والمنكرون للتأله سقطوا من النعمة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

بدعة تأليه الإنسان: بدعة لم تُحاكم،

والمنكرون للتألُّه سقطوا من النعمة

في الحلقة السابقة قلنا إن أثناسيوس ختم شرحه لأسباب تجسد الكلمة في نهاية الفصل العاشر بأن **إبادة الموت وقيامة الإنسان هو السبب الأول لتجسد المخلص** (١٠: ٦).

أما السبب الثاني لتجسد الكلمة، فقد حدده القديس أثناسيوس في **استعلان الآب**. وبدقة المعلم السكندري، فإن معرفة الآب هي معرفتنا نحن بالابن، ومعرفتنا نحن بالابن مصدرها الأول شركتنا نحن في اللوغوس خالقنا؛ لأننا "خُلقنا حسب صورته الذاتية"، ولنا "شركة في اللوغوس" كما ذكرنا من قبل، ويمكن مراجعة ذلك في تجسد الكلمة على التوالي: (٣: ٣ – ٤: ٦ – ٥: ١ – ٦: ٤ – ٧: ٤ – ١١: ٣ – ١٢: ١ – ١٣: ٢ – ١٤: ٢ – ٢٠: ١).

ولأن المعرفة الحقيقية نابعة من الصورة، لذلك جاء تجديد وإعادة خلق الإنسان ليكونوا على صورة الله، وأن ذلك لم يكن ممكناً إلا بواسطة "الذي هو صورة الآب" (٢٠: ١)، هكذا عرفنا أبوة الله "لأجل هذا السبب وُلِدَ وظَهَرَ كإنسان ومات وقام .. ويعلم البشر عن أبيه الحقيقي، كما يقول هو عن نفسه "أنا جئت لكي أطلب وأخلص ما قد هلك" (١٥: ٧).

لأنه لما غابت معرفتنا بالآب من خلال صورة الآب، يسوع المسيح وصورتنا نحن، وهو التشبيه القوي الذي يقدمه أثناسيوس في الفصل ١٤: ١-٢، فقد جاء صاحب الصورة لكي يعيد رسم صورته التي "تلطخت"، وكان هو نفسه صاحب الصورة لكي يمكن إعادة تجديد الصورة، ولذلك يشرح أثناسيوس نفسه: "وعلى هذا النحو، فقد أتى إلى عالمنا الكلي القداسة ابن الآب، إذ هو صورة الآب، لكي يجدد الانسان الذي خُلِقَ مرةً على صورته، ويخلِّص ما قد هلك بمغفرة الخطايا، كما يقول هو في الأناجيل ... بل قصد التحدث عن إعادة ميلاد النفس وتجديد خلقها بحسب الصورة" (١٤: ٢). فالخلاص ليس رفع العقوبة فقط، ولا هو غفران الخطايا فقط؛ لأن ذلك هو التعليم الشائع عند طوائف الإنجيليين الذي تبناه الأنبا شنودة الثالث.

تحول كيان المسيح الإنساني:

كيف شرح الأنبا شنودة اتحاد اللاهوت بالناسوت؟

قدم الأنبا شنودة في كتابه (تأليه الإنسان، الجزء الثاني، ص ١٩ وما بعدها) بعض عبارات صحيحة عن عدم تغيُّر اللاهوت إلى ناسوت وعدم تغيُّر الناسوت إلى لاهوت، وهذا حق يُحسب له، ولكنه لم يناقش ما هو الاتحاد؟ هذا موضوعٌ غائب تماماً، ولكنه يقصر كلامه -في عمومية شديدة- عن ثماني أمثلة يشرح بها عدم تغيُّر اللاهوت، لا علاقة لها بما حدث من تحول في كيان المسيح، وهي حسب عباراته هو:

- اللاهوت لا ينمو ولا يتقدس.
- اللاهوت لا ينقل من مكان لآخر.
- اللاهوت لا يصعد إلى السماء ولا يرتفع عن الأرض.
- اللاهوت لا ينعس ولا ينام.

- اللاهوت لا يتعب ولا يتألم.

- اللاهوت لا يجوع ولا يعطش.

- اللاهوت لا يموت.

- اللاهوت لا يؤكل ولا يُشرب (ص ٢٠).

وبالرغم من أن هذه العبارات تبدو جيدة، إلا أنها -كما قلنا- لا علاقة لها بما حدث من تحول في كيان المسيح، بل هي في النهاية، جعلت المسيح الإله المتجسد بعيداً جداً عن حياة البشر. فأين على الأقل "ذاق الموت بالجسد أو في الجسد" حسب كلمات صلاة الساعة التاسعة؟ وأين قول الرب للسامرية: "الماء الذي أنا أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا ٤: ١٤)، أو: "وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي، قال هذا عن الروح القدس" (يوحنا ٧: ١١-١٩).

وهنا نلفت النظر إلى أن الاستنكارات الثمانية التي أوردها الأنبا شنودة، كانت هي سبب رفض نسطور للقب والدة الإله. صحيح أن الأنبا شنودة لم يرفض لقب والدة الإله، لكنه يسير في ذات اتجاه الهرطقة النسطورية، وبالذات حينما يستنكر أن اللاهوت لا يؤكل ولا يُشرَب، وهو ما قاده إلى ذات تعبير نسطور الذي كان أحد أدلة الحكم عليه في مجمع أفسس ٤٣١ وهو قول نسطور إن الرب لم يقل "خذوا كلوا هذا هو لاهوتي، بل هذا هو جسدي".

وبالطبع، فإن رفض الأنبا شنودة تأله ناسوت الرب، هو رفضٌ للإيمان الرسولي نفسه؛ لأن تعبير رسول المسيح: "جسد مجده"، هو تحول جسد تواضعنا لكي يكون على صورة جسد مجده، فهو الذي غير جسده (فيلبي ٢: ٢١). وكلمات رسول المسيح هي: "ننتظر مخلصاً من السموات هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير

شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء".

فقد غيَّر يسوع جسده الذاتي أولاً، لكي يعطي لنا هذا التغيير:

- فقد "أعطى الحياة لجسده البشري" (تجسد الكلمة ١٧: ٢).

- وعندما وُلِدَ من العذراء "قدَّس الجسد" (تجسد الكلمة ١٧: ٥).

- هو الحياة ذاتها: "ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (تجسد الكلمة ٢٠: ١).

والإنسان المائت ليس نحن فقط، بل ناسوت الرب نفسه؛ لأن المسيح لم يمت موته هو، بل موت الإنسانية (٢٢: ٣)، ولذلك أخذ جسداً قابلاً للموت:

- "لا يختلف عن جسدنا" (٨: ١).

- "قابلاً للموت" (تجسد الكلمة ٩: ١، ١٣: ٩).

ولكن تحول ناسوت الرب هو أن يظل هذا الجسد بعد القيامة من الموت بلا فساد، لا يسود عليه الموت، فأعلن "جسده عديم الموت لأنه باكورة القيامة" (تجسد الكلمة ٢٠: ٢).

- لقد تم موتنا نحن في الذي هو "الحياة عينها" (٢١: ٤).

- ولذلك، يؤكد معلمنا العظيم: "ولأنه هو الحياة والقوة فقد نال الجسد منه قوة" (تجسد الكلمة ٢١: ٥).

- ويكرر "فقد قام جسده سليماً تماماً، إذ لم يكن سوى جسد ذلك الذي هو الحياة عينها" (٢١: ٧).

كيف دمَّر الأنبا شنودة –عن جهلٍ– سر الشكر:

أولاً: إذا لم يكن ناسوت المسيح قد تحول إلى عدم فساد، وهو ذاته الوصف الإنساني لحقيقة تأُّله الجسد، لما أمكن لنا تناوله في سر الإفخارستيا. وتألُّه الجسد حسب دقة القديس أثناسيوس في شرح فيلبي ٢: ٦-٩: "لأن المسيح مات ولذلك رُفِّع كإنسان لكي **يأخذ ما يخصه كإله، وما كان له على الدوام**، حتى توهَب لنا نحن هذه النعمة، لأن الكلمة لم يفقد ما له عندما أخذ جسداً، بل بالحري **ألَّه الجسد** عندما لبسه، وبالإضافة إلى ذلك أعطى هذا (التأله) بفيض صلاحه للجنس البشري" (الرد على الأريوسيين ١: ٤٢).

فالجسد الذي نأخذه في العشاء السري ليس جسداً بشرياً مثل أجسادنا. وقد حرصت الليتورجيات الأرثوذكسية كلها على أن تؤكد أن هذا هو ذبيحة الرب في سر الإفخارستيا:

- ذبيحة إلهية.

- ذبيحة سمائية.

- ذبيحة غير مائتة.

فلو عاد الناسوت، أي ناسوت الرب بعد القيامة إلى الحياة الطبيعية، يحيا على الماء والهواء والشمس وطعام الأرض .... الخ. أي إلى حياة إنسانية بلا مجد الألوهة .. لتحوَّل العشاء السري إلى وليمة أكل لحم بشري، وهو أحد اعتراضات القديس كيرلس الكبير على فصل اللاهوت عن الناسوت في العظات ضد نسطور (المقالة الخامسة فقرة ٤-٥). والفقرة الخامسة بالذات، رداً على ادعاء نسطور بأن الجسد والدم يعطى لنا، ولذلك، إذا كان الناسوت وحده، أو الناسوت غير المتأله، ألا نصبح نحن نأكل طعاماً قابلاً للفساد: "أليس هذا الإدعاء هو افتراس بشري Cannibalism

وإلا كيف أصبح هذا السر سمائياً فائقاً إلا إذا ذكرنا بأن الكلمة من الله الآب هو الذي أُرسل ونعترف بأن الإرسالية هي التجسد؟ وهنا نقول بكل وضوح إن الجسد الـــذي اتحد به لم يكن جسداً آخر قادراً على أن يعطي الحياة لأنه صار جسده الخـــاص، أي جسد ذاك القوي الذي يحيي كل الأشياء. لأن النار المنظورة تثبـــت Infuses قوتهـــا الطبيعية في طبائع الأشياء التي تتصل بالنار، وتحول الماء نفسه البارد بالطبيعة إلى ما هو ضد طبيعة الماء (ساخن)، فما هو العجب، وكيف لا نؤمن بأن الكلمة الذي مـــن الله الآب الحياة عينها وبالطبيعة قد حول الجسد الذي اتحد به إلى **جسد محيي**؟".

أليس تعبير "الجسد المحيي" هو ما تعلنه الليتورجية القبطية بالذات؟ وإذا كـــان وصف "المحيي" هو صفة الألوهة، فكيف صار الجسد محيياً، ألا إذا كان قد تأله بالقيامة من الأموات ولبس مجد الابن؟

ثانياً: ولعل اعتراض الأنبا شنودة الثالث، ثم مطرانه بعد ذلك، بأن الدم الذي يخرج من جسم المتناول هو دم المسيح، ولذلك يمنعون تناول المرأة الطامث، نقول لعل هذا الاعتراض يكشف عن النسطورية النائمة في الضمائر؛ لأن دم المسيح –طبقاً لهـــذا الاعتراض– يعود بعد أن صار محيياً إلى دم طبيعي لا ألوهية فيه، ولـــذلك يعـــود إلى الفساد ويُسكب خارج الجسد (لا داعي للاسترسال وتدنيس عقل القراء بما يقولون). ولكن، يسوع رب المجد الجالس على الشاروبيم إله المجد الذي رآه أشـــعياء في مجـــده الإلهي قبل تجسده (يوحنا ٨: ٥١)، يتحول إلى كائن ميت يُسكب كســـائل خـــارج جسم المتناول[١] يعني في النهاية أنه لم يقم من بين الأموات.

---

(١) علق صديق عزيز بأنه لا يجوز اعطاء السر المجيد للمرأة الحامل لأن دم الأم يصل إلى دم الجنين، والجنين لا يمكن أن يحصل على الدم قبل المعمودية. هكذا تسير شطحات الفكر وخيالات خرافية إلى نفي الشركة.

لنا نفس جسد المسيح، أي واحد معه بالجسد:

وقد كشف الهروب إلى ثلاثة أجساد عن التمزق، وكشف طريق الإنفصال الذي دمر الكنيسة، والسرائر، والأهم هو الإنسان.

كيف ضاع الإنسان المؤمن بالمسيح الذي سمع من الرب نفسه: "أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرام، كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر" (يوحنا ١٥: ١)؟ فقد حذف الوعاظ العلاقة الكيانية بيننا وبين المسيح، وسلَّط المتكلمون الضوء على ثمر الغصن، وسكبوا نار الدينونة على الأغصان، وهكذا ضاع علينا المعنى التاريخي[١] ودخلنا العالم المغلق بما أسموه القانون الكنسي الذي ساد على الإيمان، وأصبح القانون يُحِبُّ ما أسس الإيمان نفسه. والمأساة هنا هي تلك القوانين التي حاكها ترزية العصر الوسيط.

كيف صاغ القانون، لا الإيمان، علاقة شركة صار الثالوث نفسه يخضع فيها لأحكام القانون، فلا يعطي ولا يتحرك ولا يحب إلا بالقانون؟

عندما ساد القانون على الثالوث نفسه، تم ما يلي:

١- إبعاد جسد المسيح عن الإنسان وعن الكنيسة. وصار القانون هو أعظم من الإنسان، وبالتالي هو أعظم من المتجسد يسوع ابن الله وابن الإنسان، وتم إلغاء حرية الشخص باسم القانون، وباسم الكنيسة. ولعل من المهازل التي ظهرت في مواقع كثيرة، هو اعتبار الإكليروس والأنبا شنودة بالذات هو الكنيسة. هذا اختزالٌ جعل البحث عن الاختلافات مع الأنبا شنودة هو اختلاف مع الكنيسة، بل نقل البعض من الإعلام المصري كلمة "شخصنة"، واعتبروا أن الرد على شخص الأنبا شنودة الثالث هو ابتعاد عن الإيمان، وهم ربما لا يعرفون أنه ذكرني بالاسم د. جورج حبيب على صفحات (٥، ٦، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥ من الكتاب المذكور). ألا يكفي هذا، وهو

---

(١) لأن الكرمة الحقيقية هي المسيح، و لم تعد شعب اسرائيل القديم.

يذكر الاختلافات ساخراً من الإيمان نفسه لكي يحرِّض الأقباط عليَّ بأنني محروم وهرطوقي ... الخ ولم يحدد لا هو ولا مطرانه ما هي هرطقات جورج بباوي أو هرطقات الأب متى المسكين. اتهام عام وليد النشأة ومحبة النظام الشمولي السياسي "أنت عدو نظام الحكم".

٢– وتحولت العلاقة مع الله، وهي علاقة شخصية إلى علاقة نصِّية، أي Textual مبنية على نصوص لا على العطية.

عزيزي القارئ، حاول أن تقرأ جيداً هروب الأنبا شنودة الثالث من تمجيد ناسوت الرب:

أولاً: بعدم الفساد.

ثانياً: بعدم الموت.

ثالثاً: بالقيامة وإبادة الموت.

رابعاً: بالحياة إلى الأبد.

لقد صارت الحياة الأبدية هي صفة الناسوت بعد أن كانت صفة اللاهوت وحده. ولكن الاتحاد وغلبة الموت على الصليب، وعدم الفساد في القبر ثم القيامة، جعل صفة من صفات اللاهوت هي صفة للناسوت، وبالتالي عندما ينقل إلينا الرب هذه، نتأله نحن أيضاً؛ لأننا "سنصير مثله" (١يوحنا ٣: ٢).

لقد شرحنا تأله ناسوت الرب في دراسة مطولة عن الشركة في الطبيعة الإلهية[١] ولكن تأمل –عزيزي القارئ– الخداع اللفظي القاتل، حيث يعترض على

---

(١) د. جورج حبيب بباوي، الشركة في الطبيعة الإلهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص، القديس أثناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة، الطبعة الأولى، القاهرة فبراير ٢٠٠٧.

الشركة في الطبيعة الإلهية بقوله: "ونحن لا يمكن أن نقبل الاشتراك مع الله في طبيعته ولاهوته مهما حاولوا تبرير هذا الأمر بمعان واقتباسات" (تأليه الإنسان، الجزء الثاني، ص ٦، ٧). كأن الخلاف هو حول "مع"، أو "في"؛ لأنه إذا كانت لنا شركة مع الله، أي شركة أبدية معه، فكيف صرنا نحن **معه** دون حياة أبدية؟ ما هو مصدر هذه الأبدية؟ هل هي طبيعتنا المخلوقة من العدم؟!! هل هي قدرتنا الذاتية على أن نكون أبديين؟!! هل الخلاف هو على "مع"، أو "في"؟ !!! الخلاف إذن ليس على حروف الجر، سواء "مع"، أو "في"، الخلاف هو على الحياة الأبدية.

الإفخارستيا السر الغائب:

في ص ١٥ من كتاب تأليه الإنسان، الجزء الثاني، وتحت عنوان: هل نشترك في الطبيعة الإلهية بالإفخارستيا؟ يقتبس الأنبا شنودة ما ورد في كتابنا "القديس أثناسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي"[١] ص ٢١٤:

+ "التناول من الإفخارستيا كشركة في الطبيعة الإلهية". ويقول (د. جورج) حقيقة الاشتراك في اللاهوت بسبب حصولنا على السر السمائي واهب الحياة.

ويقول (د. جورج) في ص ٢١٦ "هنا تصل الشركة في الطبيعة الالهية إلى غايتها وهي حصول الإنسان .. على الأسرار الإلهية غير المائتة السمائية".

ونلاحظ أن الأنبا شنودة لم يعلق على ما اقتبسه من كتابنا، بل انتقل ببراعة الصحافي وعجز اللاهوتي إلى ما ورد في كتاب "الأصول الأرثوذكسية الآبائية ج٢ ص ٢٤)، وكعادته -ساخراً من قول الرب يسوع المسيح نفسه- يقتبس: "يقولون عجيب! ها نحن نشرب اللاهوت طبعاً سرائرياً ... الخ ويعلق منكراً: "ولكن السرائر الإلهية في سر الإفخارستيا، **لا تعطي لنا الاشتراك في اللاهوت** حاشا! وإنما تُعطى

(١) هذا الكتاب منشور على موقع الدراسات القبطية، وتم إصدار طبعة ثانية له بالقاهرة ٢٠١٥.

"خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه" (ص ١٦ من كتاب تأليه الإنسان)، وتذكَّر عبارة القداس الإلهي السابقة، ولكنه أنكر أن الحياة الأبدية هي شركة في اللاهوت، وعاد إلى تعليم نسطور بأن التناول ليس شركة في اللاهوت، وأنكر ذلك بقوله: "حاشا"، وكأن كل ما ورد في قداس القديس كيرلس، أو في رسائل وحروم القديس كيرلس الاثنى عشر لا وجود لها.

ومن الليتورجية يكتب القديس كيرلس:

"إذ نكرز بموت ابن الله الوحيد حسب الجسد، أي موت يسوع المسيح، ونعترف بقيامته من الأموات، وصعوده إلى السموات، فإننا نقدم الذبيحة غير الدموية في الكنائس، وهكذا نتقبل البركات السرية ونتقدس، ونصير مشتركين في الجسد المقدس والدم الكريم للمسيح مخلصنا جميعاً، ونحن نفعل هذا لا كأُناسٍ يتناولون جسداً عادياً، حاشا، ولا بالحقيقة جسد رجل متقدس ومتصل بالكلمة حسب اتحاد الكرامة، ولا كواحد قد حصل على حلول إلهي بل باعتباره الجسد الخاص للكلمة نفسه معطي الحياة حقاً، لسبب أنه صار واحداً مع جسده الخاص، أعلن أن جسده معطي الحياة لأنه حتى وإن كان يقول لنا "الحق أقول لكم، أن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه" (يوحنا ٦: ٥٣) فلا نستخلص من هذا أن جسده هو جسد واحد من الناس مثلنا، لأنه كيف يكون جسد إنسان ومحيياً بحسب طبيعته الخاصة (الإنسانية)؟" (راجع رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، رسالة ١٧ فقرة ١٢).

ويرد القديس كيرلس في نفس الرسالة (فقرة ١٨) على الأنبا بيشوي:

"لقد ولد لكي يبارك بداية وجودنا نفسه، وإذ قد ولدته امرأة موحداً نفسه بالجسد فسوف تُرفع اللعنة إذن عن كل الجنس البشري. وهذه (اللعنة) كانت ترسل أجسادنا التي من الأرض إلى الموت، وبواسطته أبطل القول "بالوجع تلدين أولاداً".

هل الحياة الأبدية ليست شركة في اللاهوت؟

عندما يقول الرب يسوع نفسه بفمه الإلهي: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد" (يوحنا ١: ٢٧-٢٨)، وهي ليست فقط حياة أبدية، بل كما يقول رسول الرب: "وإله كل نعمة (مصدر النعمة) الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيراً هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم. له المجد والسلطان إلى الأبد" (١بط ٥: ١-١١)، فهل غاب المجد الأبدي عن هذه الحياة، أم أنه هو الذي قال عنه الرب نفسه: "أنا ممجد فيهم" (يوحنا ١٧: ١٠)، وهو "المجد الذي كان لي عند ذاتك (أقنومك) قبل خلق العالم" (يوحنا ١٧: ٢٠) هو الذي قال عنه الرب: "وأنا أعطيتهم المجد الذي اعطيتني ليكونوا واحداً فينا" (يوحنا ١٧: ٢٢)؟ لقد وعدنا الآب بأن يكون لنا هبة وعطية لا نملكها، وهي الحياة الأبدية حسب نص يكرره البعض في بلاهة غالباً، أما الفاهمون فهؤلاء يدركون أن "الله أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦)، وهو إيماننا، وهو سبب إيمان بولس "لكنني رحمت ليُظهِر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنون به للحياة الأبدية" (١تيمو ١: ٦)، فهي هبة الإيمان: "أما هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣). وقد أخذنا الجزء الأول "أجرة الخطية هي موت" وتركنا الجزء الثاني عن "هبة الله حياة أبدية"!!

وعندما قال العظيم أثناسيوس إن السبب الثاني لتجسد الكلمة هو استعلان الآب، فقد أسس هذا على شهادة يسوع ذاته: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧: ٣). وإذا كانت معرفتنا بالآب ونوالنا المجد الأبدي هي جوانب الحياة الأبدية، فاننا نعرف أن هبة الله في المسيح (رو ٦: ٢٣) هي أيضاً هبة الروح القدس؛ لأن رسول المسيح يقول: "من يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غلا ٦: ٨)، وهي أبدية غير قابلة

للانفصال، ولذلك أنشد رسول الرب تلك الأنشودة الخالدة في رومية ٨: ٣٨-٣٩ حيث حسب كل الكائنات التي خلقها الله: الموت – الحياة – الملائكة – رؤساء – قوات – أمور حاضرة – أمور مستقبلة – علو – عمق – خليقة أخرى، كل هذه لا تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح يسوع ربنا" لأننا حسب وعد الرب يسوع، هو والآب سوف يأتي إلينا ليجعل إقامته معنا (يوحنا ١٤: ٢٣).

الحياة الأبدية توهَب في سر الشكر:

لم أشهد هجوماً على هذا السر من داخل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كما شهدته في زمان الأنبا شنودة الثالث، فهو الذي بدأ وسار معه بعض الإكليروس في ذات الطريق، وعلَّموا بما علَّم هو به: "إننا نأكل الناسوت فقط"، وحُجته في ذلك أن اللاهوت لا يؤكل!! وهي حُجة تجوز على السذج؛ لأن الرب لم يفصل بين اللاهوت والناسوت، فقد أشار إلى حقيقة عطاء جسده ودمه في يوم الاحتفال بالفصح، حيث يتذكر اليهود نزول المن والسلوى وقال لهم: "أنا هو خبز الحياة، من يُقبل إليَّ لا يجوع ومن يؤمن بي لا يعطش" (يوحنا ٦: ٣٥)، وأن هدف الأكل هو "الحياة الأبدية **وأنا** أقيمه في اليوم الأخير" (٦: ٤٠). وعند السؤال كيف يعطينا هذا جسده عاد الرب مرة ثانية لكي يؤكد: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان (الناسوت) وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم"، فهل كان يقصد الناسوت فقط -حسب ادعاء الأنبا شنودة ونسطور من قبله؟ بكل تأكيد لا؛ لأن العبارة التالية: "من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (٦: ٥٤)، ولذلك حتماً يجب أن يكون جسد المسيح **أبدي** أي **إلهي**.

وما هو معنى "جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق" (٦: ٥٥)؟ والموقف يلزمنا بالعودة إلى شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير، وهذه مجرد مقتطفات من شرح الإصحاح السادس، وعلى المعاندون العودة إلى الأصل:

"هو يقول (الرب نفسه) أنا أموت عن الجميع لكي أعطي الحياة للكل فيَّ. لقد جعلت جسدي فديةً لجسد الكل. الموت سوف يموت بموتي، والطبيعة الإنسانية الساقطة سوف تقوم معي. لهذا السبب صرت مثلكم (إنساناً) من نسل إبراهيم لكي أُشبه كل إخوتي".

"لقد قدم المسيح جسده الخاص لحياة العالم"، هذا ما نعرفه من الكلمات: "أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك" وأيضاً من أجلهم أُقدس ذاتي. وهو يقول "أقدس" في هذه العبارة، ويعني بذلك "أُقدم ذاتي ذبيحة بلا عيب رائحة ذكية لأن كل ما كان يقدم على المذبح الإلهي كان يتقدس ويدعى "قدوس" حسب الشريعة. لذلك قدَّم المسيح جسده الخاص لحياة الكل؛ لكي بهذه التقدمة، تعود إلينا الحياة من جديد (مرةً ثانية) وكيف فعل هذا –سوف أشرح على قدر استطاعتي– لأن الكلمة الواهب الحياة قد جاء وسكن بيننا بالجسد، وحوَّل جسده، فصار للجسد الصفة الصالحة الخاصة به (الكلمة)، أي الحياة. وبالاتحاد الفائق الذي وحَّد الاثنين جعل الجسد واهب الحياة؛ لأنه هو الحياة بالطبيعة، لذلك السبب يعطي جسد المسيح الحياةَ لكل مَن يشترك فيه، ويطرد جسده الموت عندما يعطي ذلك الجسد لكل الذين يموتون ويمحو الفساد لأنه (جسد الرب) مملوء بالكلمة الذي أباد الفساد" (راجع الجزء الأول من شرح انجيل يوحنا ص ٢٣١ – ٢٣٢ السلسلة Ancient Christian Texts – 2013 والتي حلت محل الطبعة القديمة التي نُشرت في أوكسفورد تحقيق Dr. Pusey وتمت المراجعة على الأصل اليوناني للتدقيق لأن الذين يزعمون أننا لا نقدم ترجمات صحيحة عجزوا عن تقديم الصحيح من الترجمات للآباء)[١].

(١) في نفس شرح الفصل ٦ يشرح القديس كيرلس خبز الوجوه الذي كان يوضع على المائدة في خيمة الاجتماع ويواصل الشرح تجد أنه يشرح شكل القربانة كما هي في الكنيسة، إذ يقول إن الرب في الوسط وحوله الاثنى عشر رسولاً في صفين حول الوسط، وإن هذا كان رسماً لما سوف يتم في الكنيسة (راجع الشرح ص ٢٣٣–٢٤٣).

شرح يوحنا ٦: ٥٤ "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي له حياة أبدية":

يقول القديس كيرلس:

"هنا يجب أن نعجب بالإنجيلي القديس بشكل خاص؛ لأنه يصرخ بوضوح: "الكلمة صار جسداً و لم يتوانى أن يكرر هذا إنه لم يأتِ إلى جسد، بل صار جسداً لكي يؤكد الوحدة. وهو بكل يقين لم يقل إن الله الكلمة الذي من الآب قد تحول إلى طبيعة الجسد، أو أن الجسد تحول إلى طبيعة الكلمة، بل كلٌّ ظل في طبيعته والمسيح واحد من الاثنين. ولكن بهذا الأسلوب الفائق الذي يعلو على الفهم اتحد الكلمة بجسده **ونقل كل ما لجسده إليه** -كما يمكن أن نقول- لنقل كل ما يعطي الحياة لكل من لا حياة له لأنه طرد الفساد من طبعنا وأباد الموت الذي ساد علينا مع الخطية" (المرجع السابق ص ٢٣٨).

ويكمل الشرح:

"لذلك كل من يأكل الجسد المقدس للمسيح ينال الحياة الأبدية؛ لأن الجسد فيه الكلمة الذي هو الحياة بالطبيعة، ولذلك يقول (المسيح) أنا أقيمه في اليوم الأخير وبدلاً من أن يقول "جسدي" هو يقيمهم (الذين يأكلونه)، فقد نطق "أنا" على أساس أنه ليس آخر مختلف عن جسده لأنه ليس من طبيعة مختلفة" (المرجع السابق ص ٢٣٨).

والعبارة الأخيرة عن طبيعة الجسد بأنها ليست مختلفة، تؤكدها كلمة الحياة، كما هو واضح من سياق الكلام.

وعندما يشرح القديس كيرلس الكبير كلمات الرب: "جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق" (يوحنا ٦: ٥٥)، فهو يقارن بين البركة السرية (عشاء الرب) ونزول المن المؤقت، ويقارن بين شرب الكأس والماء الجاري من الصخرة، فيقول: " ..

جسد المسيح المقدس هو الذي يغذِّي لعدم الموت، وللحياة الأبدية، فهو الطعام الحقيقي .. إنه ليس مجرد دم بشر مثلنا، بل دم مَن هو الحياة ذاتها. ولذلك، بالشركة، دُعينا جسد وأعضاء المسيح؛ لأننا نأخذ الابن نفسه في كياننا بواسطة هذه البركة (الإفخارستيا)" (المرجع السابق ص ٢٣٨).

ولك عزيزي القارئ أن تقارن بين ما قاله عمود الدين وختم الآباء، وهذا الانحراف الخيالي البعيد عن الواقع الوارد في كتيب الأنبا شنودة، إذ يقول: "وإن كانوا يحتجون بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت، فهذا لا يعني أن الانسان يأكل اللاهوت. وأمامنا مثل الدم: يقول الكتاب نفس الجسد هي في الدم (لا ١٧: ١١ و٤٧) ومع ذلك فالذي يأكل ويشرب الدم لا يأكل النفس معه" (تأليه الإنسان، الجزء الثاني، ص ١٧).

إذن، غاب التعليم عن الاتحاد تماماً، وبالتالي غاب أيضاً التعليم عن هبة الحياة والقيامة، وحلَّ محل ذلك تلك التأملات الاستنكارية، التي يحاول الأنبا شنودة أن يفرض فيها رأيه الخاص على التعليم، لكي يصبح بعد ذلك رأيه هو العقيدة .. أمَّا ما هو غريب حقاً ويثير العجب، فهو ذلك الاستدلال المعوج الذي يستعين به البابا شنودة الثالث تدليلاً على صحة رأيه، فإذا كانت النفس في الدم، فهذا خاصٌّ بطعام أرضي، وهو تناول اللحوم وذبح الحيوانات، لكن عبارات الرب عن "الخبز الذي نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المن في البرية وماتوا"، تؤكد لنا أنه طعام سماوي لا علاقة له بأي طعام أرضي. وعبارة "أنا هو خبز الحياة، من يأكلني يحيا بي"، وكل ما ورد في يوحنا ٦، يؤكد لنا أننا لسنا بإزاء وجبة تؤكل حسب ما نعرفه عن الأطعمة الأرضية. وعلى ذلك، فأن يحشر الأنبا شنودة شريعة موسى في تناول جسد الرب ودمه، فهو أمر غريب لا معنى له إلا إذا كان الأنبا شنودة يظن أن جسد الرب هو طعام أرضي، يُقاس على ما هو أرضي، وهذا في حد ذاته يفتح الباب للتساؤل عن منهج التفكير الذي يتبعه الأنبا شنودة برمته.

المسيح هو الحياة الأبدية:

عند إقامة لعازر يقول الرب: "أنا هو القيامة والحياة مَن آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يوحنا ١١: ٢٥). فقد جاء الرب وأعلن لنا الحياة التي "كانت عند الآب وأُظهرت" (١يوحنا ١: ٢)، لكن هذه الحياة التي كانت عند الآب منذ البدء، لم تكن حياةً مخلوقةً مثل أي حياة خلقها الله، بل هي حياة الآب والابن، ولذلك، بالمحبة، نحن ننتقل من الموت إلى الحياة (١يوحنا ٣: ١٤). ولاحظ أن مَن لا يحب أخاه يبقى في الموت .. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه (١يوحنا ٣: ١٤-١٥). وحتى لا نخطئ، فإن شهادة الرسول الإنجيلي: "الله أعطانا حياةً أبدية وهذه الحياة هي في ابنه" (١يوحنا ٥: ١١)، فليس هناك كيان مخلوق له وجود أبدي في ذاته.

إن الرسول بولس هو الذي دعانا لأن نكتب؛ حتى لا يفقد أحد الإيمان، فهو الذي يقول: "أنت يا إنسان الله. جاهد الجهاد الحسن وأمسك بالحياة الأبدية التي دُعيت إليها" (١تيمو ٦: ١٦)، فقد صار المسيح حياتنا (كولوسي ٣: ٤).

لقد جاء واحدٌ من الذين يمارسون المحاماة حسب الشريعة، وسأل الرب يسوع: ماذا يصنع ليرث الحياة الأبدية (لوقا ١٠: ٢٥)؟ وجاء الرد بما لا يتوقعه أحد، وهو محبة الله، ومحبة القريب. وعندما سأل الناموسي أو المحامي: مَن هو قريبي؟ سَمِعَ مثل السامري الصالح من الرب نفسه، وهو أعظم ما قيل عن محبة القريب. فما هي علاقة المحبة، أي محبة الله ومحبة القريب، بالحياة الأبدية؟ والجواب هو أن الله نفسه محبة (١يوحنا ٤: ٨). وتحذير الرسول خطير جداً؛ لأنه يقول: "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعض لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله، ومن لا يحب لم يعرف الله؛ لأن الله محبة" (١يوحنا ٤: ٧-٨). وجُماع التعليم كله في العبارات التالية مباشرة: "بهذا أُظهرت (استُعلِنَت) محبة الله فينا (ليس في القضاء ولا في الشريعة) أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به (لا لكي يدفع الثمن وينال العقوبة

ويغفر الخطايا، وهو حصار العصر الوسيط الذي امتد إلى الفكر الإنجيلي)، ويكمل الرسول "أننا نحيا به"، ولكن كيف؟ ليس بنظرية أو بفكرة الأجساد الثلاثة، أو بإنكار الشركة أو بإنكار الحياة الأبدية، بل يقول "في هذا (أي نحيا به حسب سياق الكلام) هي المحبة، ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا (١يوحنا ٤: ١٠). ولكنهم غيَّروا معنى كلمة "كفارة" إلى حكم قضائي شرعي بالعدل الإلهي المنتقم من الابن، بينما في كل الفقرة يؤكد التعليم الرسولي: "الله محبة. مَن يحب يعرف الله، بل: من يحب فقد ولد من الله (لأنه يحيا بالابن هبة ومحبة الآب للعالم) لأن الآب أرسل ابنه إلى العالم لكي نحيا به" (١يوحنا ٤: ٩).

فما معنى كلمة كفارة؟ في الرسالة نفسها؟

- دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (١: ٧).

- لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو (أي يسوع نفسه) كفارة لخطايانا (٢: ١).

- غُفِرت لكم الخطايا من أجل اسمه (٢: ١٢).

- ونحيا به لأن الوعد الذي وعدنا به هو الحياة الأبدية (٢: ٢٥).

فالولادة من فوق بدون محبة الله، ليست ولادة حسب التعليم. والتطهير هو كفارة؛ لأن يوم الكفارة في العهد القديم هو يوم نزع الخطية من الشعب. ودم الذبيحة للتطهير[١]. ونحن نحيا به؛ لأننا أخذنا في المحبة ما يكتبه رسول المسيح: "أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله .. نحن الآن أولاد الله و لم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (استُعلِن) نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (٣: ١-٢). فهل

(١) راجع كتابنا: موت المسيح على الصليب، القاهرة، ٢٠٠٩، الفصل الثاني: الكفارة والفدية ومدلولاتهما في الكتاب المقدس، ص ١٨٧ وما بعدها.

هذا يقود أي إنسان إلى أن يخرج من التناول وقد صار إلهاً -حسب تصور الأنبا شنودة- ولا يسجد للأسرار المقدسة، إنما يسجد الناس له (تأليه الإنسان، الجزء الثاني، ص ١٦)؟

ولكن ماذا يقول الإنجيلي: "وكل من عنده هذا الرجاء (يصير مثله) به يُطهِّر نفسه - كما هو طاهر (لأنه نال التبني)" (٣: ٣).

ماذا وراء إنكار الحياة الأبدية؟

يبدو أن حماس واندفاع الأنبا شنودة الثالث في الرد قد جعلته لا يرى خطورة التعليم بوجود حياتين كلاهما أبدي — حياة الثالوث الأبدية، وحياة المؤمنين الأبدية، وأن الأولى لا علاقة لها بالثانية.

لكننا لم نسمع بالمرة و لم نقرأ في الأسفار المقدسة عن حياة أبدية أخرى غير الحياة الأبدية المستعلَنة في المسيح الذي قال إنه هو القيامة والحياة، وأنا هو الحق والحياة، ليقول الإنجيلي بعد ذلك: "ونحن نعلم ان ابن الله قد جاء واعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق **والحياة الأبدية**" (١يوحنا ٥: ٢٠).

- لقد قاده الخوف من الشركة، إلى المجاهرة بأن الشركة شِركٌ بالله.
- وقاده العداء، إلى انكار الحياة الإلهية التي فينا في سر الشكر.
- وقد أملى هذا عليه أن يقف موقف المعارض للحياة الأبدية.

ولكن، لنسير معه الميل الثاني. ماذا لو أن لنا حياة أبدية ليست هي حياة الله؟

أولاً: لن نعرف الله الآب؛ لأن الحياة التي فينا -عندئذٍ- ليس لها علاقة بالله

الآب، ويظهر أن كلام الرب هو خداع وكذب، فهو الذي علَّمنا هذه الحقيقة الجديدة الغائبة عن الوعي الإنساني في كل فكر وثقافة وهي أن: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧: ٣).

وحسب شرح الرسول يوحنا السابق في الرسالة: الله محبة ونحن نولد من الله ونعرفه بالمحبة، بل يؤكد رسول المسيح بولس أن هذه المحبة ليست فكرة، بل "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو ٥: ٥). وقد أدَّى إنكار سُكنى أقنوم الروح القدس فينا إلى إنكار سُكنى محبة الله، وتجلى هذا بشكل ظاهر في حملات الكراهية ضد الأب متى المسكين، وضد كاتب هذه السطور، وصار الخطاب الديني هو خطاب عداء لكل من يختلف معه ومع مطرانه الأنبا بيشوي.

ثانياً: إذا كان لنا حياة أبدية غير حياة الله، فكيف صار المسيح حياتنا، وهو ما نطلبه في أوشية الإنجيل؟ فهو القيامة والحياة، وهو ما يؤكده الرسول: إنه هو حياتنا (كولوسي ٣: ٣-٤). وما يحياه رسول الرب في الإيمان هو أن يحيا المسيح فيه، حياة أبدية وإلا هلك الرسول (غلاطية ٢: ٢٠)، ويصرخ بولس: "لي الحياة هي المسيح والموت معه ربح" (فيلبي ١: ٢١)، بل عندما ينظر إلى الماضي بكل ما فيه، يقول عنه بعد أن حَسِبَ كل ما كسبه في اليهودية: "ما كان لي ربما فقد حسبته خسارة من أجل المسيح، بل إني أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية (زبالة)؛ لكي أربح المسيح، وأُوجد فيه، وليس لي بري (مؤهلات اخلاقية)، الذي من الشريعة، بل الذي بإيمان يسوع المسيح، البر الذي من الله بالإيمان، لأعرفه وقوة قيامة وشركة آلامه متشبهاً بموته" (فيلبي ٢: ٧-١٠).

وبعد هذه الملحمة البولسية يقول رسول المسيح: "ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا (الترابي الحقير) ليكون على صورة

جسد مجده بحسب استطاعته أن يُخضِع لنفسه كل شيء" (٣: ١١).

ثالثاً: خسارة الميراث الأبدي. ولعل تلاميذ شريعة موسى يجدون تفسيراً أعوج لكلمات الوعد الإنجيلي عن سُكنى وقيادة الروح القدس لنا لكي نصرخ مع الابن أبَّا أيها الآب؛ لأننا أولاد الله، ثم:

- فإن كنا أولاداً،

فإننا ورثة أيضاً

ورثة الله

وارثون مع المسيح (رو ٨: ١٤-١٧)

فهل ميراثنا هذا هو ميراثٌ مؤقت مثل الميراث الأرضي؟ نحن نسأل المدافعين عن الكذب والباحثين عن حرف وكلمة.

غير أن رسول الرب يقطع على هؤلاء وأولئك الطريق، فيقول: "ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات (١بط ١: ٤٣).

ولذلك نحن نصبر على حملات الكراهية والمطاردة بالاتهامات الكاذبة، وكل أعمال الشيطان التي يزرعها بعض الإكليروس؛ لأننا نسمع البشارة السارة: "إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم، أما من جهتهم فيجدف عليه، وأما من جهتكم فيمجد" (١بط ٤: ١٤).

وهذا هو التجديف على الرب نفسه:

- هو يسكن فينا بالناسوت فقط.

– أعطانا حياة مخلوقة غير حياته لأنه ليس محب البشر.

– اشتركنا في موته وقيامته ولكن شركتنا ليست للحياة الأبدية.

– أغلق علينا حياةً أبديةً مخلوقةً من العدم. وهو تناقضٌ صارخ؛ لأن ما هو أبدي لا يمكن أن يكون مخلوقاً. وسوف تظل هذه الدائرة مغلقة علينا إلى الأبد بلا شركة، وبلا معرفة في حياة الله الثالوث نفسه.

تُرى هل بقى لنا شيء آخر نفقده؟

– نعم:

– فقدنا البنوة

– فقدنا الميراث الأبدي

– فقدنا سكنى الروح القدس

– فقدنا سر الإفخارستيا

– فقدنا القيامة والحياة الأبدية

وأمام صمت الجميع، وهذا الهدم المنظَّم، كان لابد لنا أن نصرخ، أما من لا يسمع الصراخ، فهو إما أصمٌّ أو يهودي.

متى يا ربُ يشرق علينا الفجر، فقد طال ليل البهتان.

د. جورج حبيب بباوي